



## The System of Civilizational Life of the Imamiyah with an Emphasis on the Book *Masar al-Shia* by Sheikh Mofid

Syed Hasan Hashemi Jazi<sup>1</sup>

Hamed Ghara'ati<sup>2</sup>

Received: 14/12/2021

Accepted: 03/10/2022

### Abstract

Civilization-forming elements depend on common objective elements such as language, history, religion, customs and traditions of a society. Accordingly, during their lifetime, Shia scholars have made a significant effort to create an identity and form an independent life based on the teachings of the Imams, in order to protect the elements of Shia identity by defining the Shia civilized life system as well as spreading religious teachings to social life, and prevent sectarian conflicts. In the meantime, Sheikh Mofid (413 AH), taking into account the coincidence with the Shia government of Ale-Bouyeh (322-448 AH), in order to redefine and shape the Shia civilization based on the teachings of the Ahl al-Bayt, started to write the book *Masar al-Shia* as a behavioral calendar for the happy and mournful life of the Shias. This paper is based on the descriptive-analytical method to explore the efforts of Sheikh Mofid in designing and institutionalizing Shia civilization according to the book *Masar al-Shia*. Some of the findings of this study can be Sheikh Mofid's emphasis on monotheistic life, reflection of Islamic teachings in civilizational life, protection of religious beliefs, interaction, and relation of religions, development of social vitality and foundation for strengthening the concept of ummah in society.

### Keywords

System, Identity, Shaykh Mofid, Masar al-Shia, civilizational life.

---

1. Assistant Professor, Department of History, University of Religions and Denominations, Qom, Iran. h.hashemi.jazi@gmail.com.

2. Assistant Professor, Department of History, Baqir al-Olum University, Qom, Iran. gharaati\_1359@yahoo. Com.

---

\* Hashemi Jazi, Syed Hasan; Ghara'ati, H. (2022). The System of Civilizational Life of the Imamiyah with an Emphasis on the Book *Masar al-Shia* by Sheikh Mofid. *Journal of Al-Tarikh va Al-Hadarah al-Islamiyah; Ruyat al-Mu'asirah*, 2(3), pp. 148-172. DOI: 10.22081/IHC.2022.62676.1001

---

## منشور الحياة الحضارية للإمامية كتاب «مسار الشيعة» للشيخ المفيد نموذجاً

السيد حسن هاشمي جزي<sup>١</sup> حامد قرائتي<sup>٢</sup>

تاريخ الاستلام: ٢٠٢١/١٢/١٤ تاريخ القبول: ٢٠٢٢/١٠/٠٣

### ملخص

العناصر المؤلفة للحضارة أو التمدّن هي العناصر الموضوعية المشتركة من قبيل اللغة، التاريخ، الدين، العادات والتقاليد السائدة في المجتمع. وعلى هذا الأساس لم يأل علماء الشيعة جهداً طويلاً طوال حياتهم لترسيخ الهوية الشيعية وبلورة نمط عيش مستقل يستلهم من التعاليم النورانية للأئمة الأطهار عليهم السلام، ليتسنى عبر وضع منشور للحياة الحضارية للشيعة إدخال التعاليم الدينية إلى الحياة الاجتماعية وصيانة عناصر الهوية الشيعية وفي نفس الوقت الحؤول دون ظهور نزاعات مذهبية. وفي هذه الأثناء عمد الشيخ المفيد (ت ٤١٣ هـ) نظراً لمعاصرته حكومة البويهيين الشيعية (٣٢٢-٤٤٨ هـ)، إلى تدوين كتابه مسار الشيعة بغية إعادة تعريف وبلورة حياة حضارية (تمدنية) للشيعة مبنية على تعاليم أهل البيت عليهم السلام ويكون بمثابة روزنامه للسلوك اليومي لحياة الشيعة بأفراحها وأتراحها. تحاول هذه المقالة بأسلوب وصفي تحليلي دراسة جهود الشيخ المفيد في تشكيل وتقنين الحياة الحضارية (التمدنية) للشيعة في ضوء الكتاب المذكور. ومن النتائج التي خرج بها هذا البحث أنّ الشيخ المفيد كان يؤكّد على الحياة التوحيدية وانعكاس التعاليم الإسلامية على الحياة الحضارية (التمدنية)، والحفاظ على المعتقدات الدينية، والتعاطي والتعاون مع المذاهب الأخرى، وتوسيع النشاط الاجتماعي تمهيداً لترسيخ مفهوم الأمة في المجتمع.

### الكلمات المفتاحية

منشور، إضفاء الهوية، الشيخ المفيد، مسار الشيعة، الحياة الحضارية (التمدنية).

١. دكتوراه في دراسة الشيعة وأستاذ مساعد في قسم التاريخ بجامعة الأديان والمذاهب بقم. إيران.  
h.hashemi.jazi@gmail.com

٢. دكتوراه في الدراسات الشيعية وأستاذ مساعد في قسم التاريخ بجامعة باقر العلوم عليه السلام بقم. إيران.  
gharaati\_1359@yahoo.com

\* هاشمي جزي، السيد حسن، قرائتي، حامد. (٢٠٢٢م). منشور الحياة الحضارية للإمامية كتاب "مسار الشيعة" للشيخ المفيد نموذجاً. مجلة تاريخ والحضارة الإسلامية؛ رؤية معاصرة، مجلة نصف سنوية  
DOI: 10.22081/IHC.2022.62676.1001  
٢ (٣)، صص ١٤٨-١٧٢.

## مقدمة

التمدّن، المدنيّة، الحضّر، الحضارة كلها كلمات مترادفة، وهي معادلة لكلمة Civilization وتعني الانخراط في الحياة المدنية والتطبيع بطباع أهل المدينة وأخلاقهم، والقبول بالنظام والقوانين وسائر الشؤون الاجتماعية، والتعاون بين أفراد المجتمع في مختلف القضايا الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية وغيرها (دهخدا، ١٣٦٥ش؛ معين ١٣٧٥ش، مادة «مدن»). أما في الاصطلاح فالكلمة تعني المجتمع الذي يحتوي على بنى بديلة، وتصنيف اجتماعي، ونمط من الإدارة الاجتماعية (كولب، ١٣٨٤ش، ص ٢٦٧) يمكن على أساسها تحقيق الإبداع الثقافي واستمراره (ديورانت، ١٣٧٢ش، ج ١، ص ٣). إذا اعتبرنا قيام الحضارة، وهي عبارة عن مجموعة العلوم والفنون والعادات والتقاليد (عسكري، ١٣٧٨ش، ص ٢٠٨؛ روح الأميني، ١٣٧٩ش، ج ٥، ص ٤٩؛ بهلوان، ١٣٨٨ش، ص ٤٦٥)، يعود لعوامل اقتصادية وقضائية وثقافية وأخلاقية ودينية (ولايي، ١٣٨٢ش، ج ١، ص ٣٠)، سوف نكتشف أنّ توجيه السلوك وخلق نوع من التنسيق والانسجام على أساس العادات والأصول الدينية عبارة عن محاولة حضارية قام بها بعض علماء الشيعة بغية بلورة أسلوب حياتي معين وتوحيد السلوك الاجتماعي للشيعة بما يضمن لهم المحافظة على خصوصية الأصول والهوية المذهبية ضمن الإطار العام الواسع للحضارة الإسلامية.

تشكّل الحضارة من عناصر عديدة مثل اللغة والتاريخ والدين والعادات والتقاليد والبنى (هنتينغتون، ١٣٨٢ش، ص ٣٤) وتبني كل فكرة حضارية على قاعدة البنى الفكرية، حيث توفرّ الأركان الأساسية لصنع الحضارة، ويقوم أفراد البشر بوصفهم صنّاع هذه الحضارة بوضع قواعدها وترسيم سيورتها. ومن هذا المنظار، ربّما، يتسنى وضع كل عالم مسلم تحت مجهر النقد والتحليل من زاويتين: تفكيره الحضاري ونزعتة الحضارية. ويندرج في هذا السياق كتاب «مسار الشيعة في

١٤٩

التاريخ والحضارة الإسلامية  
مؤسسة نهج الخيرية

مختصر تواريخ الشريعة» بقلم محمد بن محمد بن النعمان المشهور بالشيخ المفيد (٣٣٦ أو ٣٣٨ - ٤١٣ هـ) المتكلم والفقيه الإثني العشري، وقد اشتهر الكتاب في بعض المصادر باسم «التواريخ الشرعية» (طهراني، بلا تاريخ، ج ٢٠، ص ٣٧٥)، أو كما ورد في مقدمة الكتاب باسم «مختصر في تاريخ أيام مسار الشيعة وأعمالها من القرب في الشريعة وما خالف في معناه» (المفيد، ١٤١٤ هـ، ص ٤). تفترض المقالة أنّ الكتاب المذكور بصدد وضع منشور أو نظام لقواعد السلوك والحياة الحضارية (المدنية) للشيعة عبر ثلاثة محاور: حياة تتمحور حول الله، حياة تتمحور حول التاريخ (الهوية)، وحياة تتمحور حول المجتمع (جلالي، ١٣٨٦ ش، صص ٢٩٥-٢٩٦). يذكر الشيخ المفيد في مقدمته الدافع وراء تأليف هذا الكتاب بقوله: «ولم يزل الصالحون من هذه العصاة - حرسها الله - على مرور الأوقات يراعون هذه التواريخ، لإقامة العبادات فيها، والقرب بالطاعات، واستعمال ما يلزم العمل به [في الأيام] المذكورات، وإقامة حدود الدين في فرق ما بين أوقات المسار والأحزان» (المفيد، ١٤١٤ هـ، ص ١٨). تم تدوين الكتاب في سنة ٣٨٩ هـ في ٦٣ صفحة (المفيد، ١٤١٤ هـ، ص ٦١). ورتبه على ترتيب الأشهر العربية بادئاً بشهر رمضان وخاتماً بشهر شعبان. ويصف الشيخ معرفة هذه المناسبات الواردة في الكتاب بأنها «من حلية أصل الإيمان، ومما يقبح إغفاله بأهل الفضل والإيمان، بل الاهتمام بهذه الجهة مما تعاهدناه عند المؤمنين والمهتمين بأمر الدين منذ القديم» (المفيد، ١٤١٤ هـ، ص ١٨). وذكر في مقدمته أنه ارتأى أن يكون أسلوبه الاختصار والإيجاز في تدوين هذا الكتاب «وأجملت منه أكثر القول [مخافة الإملال بالتطويل]» (المفيد، ١٤١٤ هـ، ص ١٩).

لا توجد بحوث ودراسات تناول بالدراسة والتحليل كتاب مسار الشيعة، بيد أنّ ناصر الدين الأنصاري القمي في كتابه «كاتبشاسي شيخ مفيد»، والسيد محمد رضا الحسيني الجلالي في «درآمدی بر کتاب الحکایات شیخ مفید»، وقاسم خانجاني في «موضوعات تاریخی در آثار شیخ مفید» بحثوا في مصنفات الشيخ

المفيد بشكل عام. كما كانت مناسبات التشييع والتمدن والحياة الاجتماعية في القرن الرابع من بين الموضوعات التي لفتت إليها أنظار الباحثين واهتمامهم. على سبيل المثال السيد أحمد رضا خضري في «ميراث تمدن شيعه در حلب (قرن های چهارم و پنجم هجری)»، والسيد مرتضى موسوي جاجرمي في «نقش فقها و متكلمين قرن چهارم هجری در گسترش تشيع در ايران»، وعلي خالقي في «نظام سياسي شيعه در اندیشه شيخ مفيد»، لكن لم يتناول أي من هؤلاء في كتبهم هذه طبيعة المسار الذي سلكه الشيخ المفيد في كتابه «مسار الشيعة» في ترسيم ملامح الحياة الحضارية للشيعة والمحافظة عليها وتوجيهها.

بمقدور هذا الموضوع أن يفرض نفسه كتجربة رائدة وكبيرة على القائمين على الشأن الثقافي والحضاري في البلاد وخاصة في الوقت الراهن الذي تطرح فيه قراءات ومقاربات متباينة تصل في بعض الأحيان حدّ التناقض عن نموذج الحياة الحضارية في المجتمعات الإسلامية. ذلك أنّ اتّخاذ إجراءات مؤقتة ومرحلية وغياب رؤى طويلة الأمد وعدم مناقشة الفرص والتحديات المحيطة، قد يهيئ الأرضية لإجراءات وتدابير ومواقف تنسف الفرص الحضارية. وفي هذا السياق فإنّ سيادة التعاليم المذهبية الجديدة سوف توظف العوامل المهمة المؤثرة في عدم تحقيق نموذج الحياة الحضارية الإسلامية.

#### ١. الشيخ المفيد: موجز عن رؤيته الاجتماعية بالاستناد إلى مصنفاته

هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان بن عبد السلام الملقب بابن المعلم والشهير بالشيخ المفيد، أحد علماء الإمامية الإثني عشرية. ولد في ١١ ذي القعدة سنة ٣٣٦ أو ٣٣٨ هـ في محلة ابن البصري في مدينة عكبرى في الطريق بين بغداد والموصل. ترعرع في كنف والده الذي كان معلماً في مدينة واسط ولهذا أطلق على شيخنا لقب ابن المعلم. بعد تحصيله العلوم التمهيدية عند والده في واسط جاء بمعيتة إلى بغداد وعاش فيها حتى آخر عمره. وعن لقب هذا العالم الشيعي "المفيد"

قبل لقبه القاضي عبد الجبار المعتزلي (ت ٤١٥هـ) أو علي بن عيسى الرماني المعتزلي (ت ٣٨٤هـ) أثناء مناظرة حصلت معه استطاع فيها دحض حججه (شبري، ١٤١٣هـ، صص ٧-٨، ٣٨، ١١٨). بينما يقول البعض أنه لقب شرفه به الإمام صاحب الزمان عليه السلام في أحد تواقيعه المباركة أورده الطبرسي في الاحتجاج (صدر حاجي سيد جوادي، ١٣٦٦ش، ص ١٧٩). هناك العديد من السمات التي وسمت الشيخ المفيد وتبين من خلالها رؤيته الحضارية، نوجزها فيما يلي:

السمة الأولى: تعدد وتنوع مشارب المشايخ الذين تتلمذ عليهم ونهل من علومهم. وهم: ابن قولويه (ت ٣٦٨هـ)، الشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ)، محمد الإسكافي (ت ٣٨١هـ)، حسن بن حمزة الطبري (ت ٣٥٨هـ)، أبو عبد الله المرزباني (ت ٣٨٤هـ)، أبو جعفر البزوفري (ت ٣٥٢هـ)، أبو غالب الرازي (ت ٣٦٨هـ)، ابن داوود القمي (ت ٣٦٨هـ)، أبو بكر محمد بن عمر الجعابي (ت ٣٥٥هـ). والجدير بالاهتمام أنه على الرغم من رديته على المعتزلة، كان يحضر حلقات دروس كبار مشايخهم كأبي عبد الله البصري (ت ٣٦٩هـ) وعلي بن عيسى الرماني (ت ٣٨٤هـ) (جعفریان، ١٣٧٥ش، صص ٤٢٧-٤٣٠). ونحن نلاحظ تنوع مشارب هؤلاء المشايخ الذين درس عليهم كلامياً وفقهياً ومعرفياً ومذهبياً، فهم لا ينتمون إلى مذهب واحد أو مدرسة فكرية وعلوية واحدة. فابن قولويه (ت ٣٦٩هـ) من فقهاء بغداد ومحدثيها، والشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ) من فقهاء مدرسة قم ومحدثيها، والشيخ المفيد نفسه كان يحاكي بعض مشايخه وينظرهم في عدد من الموضوعات انطلاقاً من تأثره بآراء مدرسة بغداد الاعترالية (جویرل ١٣٧٥ش، ص ١١٢). كان يعقد حلقات دروسه في مسجد برائا ببغداد، وكان يحضر هذه الحلقات علماء من الشيعة وأهل السنة. وقد تأثر تلامذة الشيخ المفيد أيضاً بهذا التنوع العلمي فبرعوا في مختلف المراتب وحقول العلوم الدينية. من أهم تلامذته نذكر الشريف الرضي (ت ٤٠٦هـ)، الشريف المرتضى (ت ٤٣٦هـ)، الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، جعفر بن محمد الدورستي

(ت ٤٧٠هـ)، محمد بن علي الكراجكي (ت ٤٤٩هـ)، سلّار الديلمي (ت ٤٦٣هـ)، النجاشي (ت ٤٥٠هـ) ومحمد البصري (ت ٤٤٣هـ) (مدني بجستاني، ١٣٨٥ ش، ج ١، ص ٤٣١؛ مدرسي تبريزي، بلا تاريخ، ص ٣٦٣).

السمة الثانية: السمة الأخرى التي وسمت مصنّفات الشيخ المفيد هي وقوفه على حاجة المجتمع إلى الموضوعات الملحة حيث جعل من الاهتمام بالتحديات والشبهات المبتلاة وتجنّب التفنّن والرياء في ممارسة العلم مقصداً في تأليفاته. كان الشيخ المفيد يسكن في بغداد ومع ذلك كان مطلعاً على المسائل والشبهات والمعضلات العلمية والفكرية السائدة في سائر الأمصار، وكان يبذل جهوداً حثيثة لتلبية الحاجة العلمية والتعليمية لتلك الأمصار، تشهد له بذلك تصانيفه من قبيل: الأجوبة عن المسائل الخوارزمية، جواب أهل الرقة في الأهلة والعدد، رسالة الجندي إلى أهل مصر، المسائل الحرّانية، المسائل الصاغانية، والمسائل السروية. على سبيل المثال، في كتابه المسائل السروية يجيب عن شبهات أحد علماء مدينة ساري في شمال إيران واسمه «السيد فاضل شريف».

السمة الثالثة: ترتيب الأولويات عند تدوينه الكتب. كان الشيخ المفيد يأخذ بعين الاعتبار الظروف الحاكمة في العالم الإسلامي وبخاصة المجتمعات الشيعية، ويعمل على ترتيب الأولويات العلمية والمعرفية، وفي ضوء أهمية المسائل والمعضلات العلمية المطروحة يقوم بتدوين الكتب في تلك الموضوعات. شهد عصره العديد من المناظرات العقديّة بين الشيعة من جهة وبين المعتزلة وأهل الحديث من جهة ثانية، كما تزامن عصره مع بدء الغيبة الكبرى في ٣٢٩هـ وترسيخ أسس العقائد الشيعية أكثر من السابق. ذلك أنّ المجتمع الشيعي على صعيد المجتمعات المحلية كان قد دخل في أجواء من الحيرة والترديد، وفي الوقت نفسه استغلّت الفرق والنحل الجديدة الفرصة للانشقاق وتشكيل فرق جديدة. وعلى الصعيد الخارجي كانت المعتقدات الشيعية ولا سيّما في موضوع إمامة الإمام الثاني عشر تتعرض لهجمات شرسة من قبل خصوم المذهب، ولذلك

نجد أنّ من مجموع المؤلفات المتتین التي دوّنها الشيخ المفيد كتب ٢٣ كتاباً منها في موضوع الإمامة، و ١٠ في موضوع الإمام المهدي ﷺ والمهدوية، و ٣ كتب في علوم الحديث، و ٥ في أصول الفقه، و ٢٠ في علوم القرآن، و ٤١ في موضوع الفقه، و ٤ كتب في التاريخ. والأمر الملفت هو التناسب في اختصاص كل موضوع بالكتب التي يحتاجها وذلك حسبما تقتضيه المتطلبات العلمية والفكرية للمجتمع.

السمة الرابعة: فتح حدود جديدة عبر إطلاق النقد والتحليل لآخر معطيات العلماء وآرائهم والمنظرين العلميين هي أيضاً سمة أخرى ميّزت شخصية الشيخ المفيد. إذ من خلال دراسة مصنفاته التي وصلتنا تبين إطلاعه الواسع بآخر الآراء العلمية للعلماء والنخب التي سادت في عصره. كان دأبه أن يتناول آخر ما يُطرح من آراء وموضوعات بالنقد والتحليل ويدون ردّيات علمية ومتخصّصة بشأنها، ليفتح بذلك أبواب العلم على مصراعها. من هذه المصنّفات نذكر على سبيل المثال: جواب الكرماني في فضل النبي على سائر الأنبياء، الردّ على ابن كلاب في الصفات، الردّ على الكرايسي في الإمامة، الردّ على ابن الأخشيد في الإمامة، كتاب الردّ على العتققي في الشورى، الردّ على الجبائي في التفسير، النقض على ابن الجنيد في اجتهاد الرأي، النقض على الطلحي في الغيبة، وغير ذلك. وقد أضفى رونقاً وألقاً على المناظرات والمحاجات العلمية في إطار تدوين الكتب التي تبدأ عادة بعبارات «جوابات»، «النقض» و «الردّ»، وكان ينفخ النشاط والحيوية في المناخ العلمي عبر تدوينه لهذا النوع من المناظرات. ومن أهم مصنفاته يمكن الإشارة إلى: الأمالي، تصحيح الاعتقاد، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، الفصول المختارة، المقنعة، الجمل، شرح اعتقادات الصدوق، البيان في أنواع علوم القرآن، العيون و المجالس، ومسارّ الشيعة.

لقد عاصر شيخنا (رحمه الله) ثلاثة من خلفاء بني العباس هم المطيع لله



(٣٢٤-٣٦٣هـ)، الطائع لله (٣٦٣-٣٨١هـ) والقادر بالله (٣٨١-٤٢٣هـ) وكذلك شهد حكم ثمانية أمراء من آل بويه في العراق في الفترة (٣٣٤-٤١٤هـ)، وقد حكمت هذه الأسرة في الفترة من ٣٢٢ إلى ٤٤٨هـ، أجزاء واسعة من إيران والعراق والجزيرة حتى تخوم بلاد الشام. وعاش الشيعة في ظلّ حكم البويهيين أجواء الانفتاح والحرية الاجتماعية (فقيهي، ١٣٦٥ش، ص ١٢٧) يمارسون شعائرهم دون وجل أو خوف، حيث كانوا يقيمون احتفالات الغدير وولاية الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في غدير خم مصحوبة بمظاهر الإجلال والتعظيم (ابن كثير، ١٤٠٥هـ، ج ١١، صص ٣٢٦-٣٢٥). وكذلك امتدت مظاهر التكرم إلى توسعة ضريحي الإمامين أمير المؤمنين وولده الحسين عليه السلام وإقامة مجالس العزاء الحسينية والشعائر الخاصة بها في شوارع بغداد وأزقتها (ابن كثير، ١٤٠٥هـ، ج ١١، ص ٢٤٣).

١٥٥

التاريخ والحضارة الإسلامية  
مرحلة نهج الخيرة

حظي الشيخ المفيد بمكانة أثيرة وخاصة في عهد حكومة عضد الدولة وقد كتب خواند مير (ت ٩٤٣هـ) يقول: «كان الشيخ المفيد موضع إكرام عضد الدولة وتبجيله (خواندمير، ١٣٨٠ش، ج ٢، ص ٣٠٩) وكان هذا الحاكم يذهب لزيارته ويعودُه إذا مرض» (ابن حجر العسقلاني، ١٤٠٦هـ، ج ٥، ص ٣٦٨)، لم تقتصر هذه المنزلة والحظوة للشيخ المفيد على حكام آل بويه، بل كما ينقل الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ) كان خلفاء بني العباس أيضاً يكتنون له الاحترام والتبجيل (الخطيب البغدادي، ١٤١٧هـ، ج ٣، ص ٢٣١). يقول ابن عماد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ) في وصف الشيخ المفيد نقلاً عن ابن أبي طي: «أحد عظماء الإمامية وزعيم عرصة الفقه والكلام والمباحثة. ناظر أتباع كل عقيدة ونحلة. كانت له منزلة مرموقة في دولة آل بويه. كان كثير الصدق والمبرّة. ومن أهل الخشوع والتجّد والصلاة والصوم، وكان حسن اللباس والمنظر. كان عضد الدولة يزوره كان ربعاً ضعيفاً أسماً... شارك في تشييع جنازته أكثر من ٨٠ ألف من الشيعة.. رحمه الله» (ابن

عماد الحنبلي، ١٤٠٦هـ، ج ٣، ص ١٩٩). يمكن تلخيص أهم عناصر الشيخ المفيد في تدوين منشور الحياة الحضارية للشيعنة كما يلي:

## ٢. تجلّي التوحيد والإيمان بالله في الأذكار

صناعة الحضارة، طبقاً للرؤية الإسلامية، يجب أن تنتهزم بمقومات التوحيد والإيمان بالله. وبناءً على ما جاء في القرآن الكريم فإنّ الهدف من خلق الإنسان وجوهر وجوده الذي يمنحه الإنسانية هو الإيمان بالله والعبودية له. من هنا، سعى الشيخ المفيد التمسك بهذين العنصرين وهو يرسم ملامح الحياة الاجتماعية عبر مسار الحوادث والمناسبات. على هذا الأساس، قدّم فيما رتبّه من ذكر الشهور شهر رمضان المبارك لسرد المناسبات والحوادث، على الرغم من أنّ شهر محرم هو أول الشهور العربية. وقام في معرض شرحه لهذا الشهر بوصفه حدثاً دينياً باستعراض المستحبات عند استقبال هذا الشهر، موصياً بتطهير النفس من الأدناس الظاهرية والباطنية. وبالإضافة إلى أداء المستحبات كالغسل، يحضّ على القيام ببعض الأمور التي توجب نقاء الروح وصفاءها والتوجه إلى المعبود، ويوصي بقراءة الأدعية الواردة في الاستهلال عند رؤية الهلال والابتداء بصلاة نوافل ليالي شهر رمضان. وهي ألف ركعة من أول الشهر إلى آخره بترتيب معروف في الأصول عن الصادقين [من آل محمد] عليهم السلام وبذلك يبدأ المؤمن سنته المعنوية. وقد أكّد في مناسبات مختلفة مثل أعمال شهر شوال على قراءة الأذكار كهذا الذكر (الله أكبر ولا إله إلا الله) (المفيد، ١٤١٤هـ، ص ٣٠).

## ٣. المحافظة على المراتب الإلهية في المناسك وأسلوب الحياة

ليس من منظور علمي وبرهاني فحسب وإنما من منظور اجتماعي أيضاً يعتقد الشيخ المفيد أنّ عدم استناد الشعائر الدينية إلى المصادر المعرفية سوف يجعل منها سبباً لتفكك الحياة الاجتماعية في الحضارة الإسلامية. ولهذا يواظب على

بيان ضرورة وجود مصادر معتبرة تستند إليها الشعائر الدينية حتى في معرض لفته الانتباه إلى التوحيد والإيمان بالله، مؤكداً على الأولويات المعرفية في إطار بناء منظومة الحياة الحضارية، حيث يركّز في مواضع متعدّدة على الأُنس بالقرآن والاستغفار (المفيد، ١٤١٤هـ، صص ٢٥ و ٢١).

كما يسعى إلى توثيق الشعائر المتداولة في الحياة الاجتماعية للشيعة بإسنادها إلى السنّة النبوية المطهرة ومن ثمّ سيرة أهل البيت عليهم السلام « فبذلك ثبتت السنّة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وجاءت الأخبار بالعمل به عن الصادقين من عترته عليهم السلام » (المفيد، ١٤١٤هـ، ص ٣٠)، لأنّ في استناد الشعائر الدينية إلى السنّة النبوية حفظ لحزمة الأصول الدينية ومراعاة للحدود والثغور المعرفية. هذا النمط من الوصايا المفيدة يمكن ملاحظته أيضاً في مناسبات أخرى عديدة مثل عيد الأضحى (المفيد، ١٤١٤هـ، صص ٣٠ و ٣٨)، والصوم المستحب في شهر رجب. وفي تنظيمه للحياة الاجتماعية للشيعة، وإن كان ذلك لا يدخل في المباحثات الكلامية، يسعى إلى إضاءة المعارف الشيعية بشكل واضح ودقيق في الشعائر والحياة الاجتماعية، عندما ينقل عن الإمام المعصوم عليه السلام قوله: «أَنَّ كَانَ يَصُومُهُ وَيَقُولُ شَهْرُ رَجَبٍ شَهْرِي وَشَعْبَانُ شَهْرُ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وَشَهْرُ رَمَضَانَ شَهْرُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ» (المفيد، ١٤١٤هـ، ص ٦٠).

المحافظة على انسجام الأركان العقديّة والحؤول دون أحادية النظرة والإفراط والشبهات دفعت الشيخ المفيد إلى الإيحاء بإحياء المناسبات المهمة الخاصة بالشيعة مثل ولادة إمام العصر عليه السلام في النصف من شعبان من خلال الإثثار من الصلاة والدعاء، واعتبار ذلك من أهم آداب هذه الليلة المباركة وسنّها (المفيد، ١٤١٤هـ، ص ٦٠). وبهذه الوصية يؤكّد على العلاقة الطولية لموضوع الإمامة بمفهوم التوحيد، والتصريح بإقامة الصلاة والابتهاج إلى الله والتضرّع إليه في أخصّ مناسبات الشيعة.

#### ٤. عينة التعاليم الدينية في مختلف الميادين

كل أفراد المجتمع، طبقاً لآيات القرآن الكريم، بحاجة إلى اتباع الولاية الإلهية لنيل السعادة والتوفيق المادي والمعنوي. وهذه الولاية متبلورة في الأنبياء والأوصياء الإلهيين، ولا سبيل أمام الناس إلا التمسك بها ليسير بهم قائدهم من الظلمات إلى النور، فيعصمهم بذلك من الانحراف. لذا، فإن محاولة حبس القدوات والمعارف الدينية والمذهبية في المصادر والنصوص أو حصرها في فواصل مكانية وزمانية خاصة، يجعل من الدين أمراً فصلياً موسمياً، فيعجز بالتالي عن التأثير في المجتمع. وفي عملية كهذه تصبح التعاليم الدينية كالأشياء والرموز المقدسة المحفوظة في المتاحف الثقافية والمعرفية، ويكون دور المجتمع مشاهدتها من بعيد فقط. كما أنّ مراكمة الرموز والعلامم والأدبيات والمضامين الدينية في مجالات أو أشكال أو طبقات خاصة في المجتمع هي أيضاً مؤشّر على وقوع هذا الضرر الفادح المتمثل في علمنة المجتمع. وفي ظلّ هذه الظروف يتختم على المرشدين وعلماء الدين وزعماء المذاهب تجنبّ التوقع في شعائر خشبية والسرور بالألوان والأجراس، وأن لا يأنسوا بسريان المعارف الدينية في فكر وعمل آحاد المجتمع فحسب، حتى وإن اقتضى ذلك إجراء تعديلات على مظاهر بعض ميادين الحياة المعنوية. مع ذلك، حاول الشيخ المفيد من خلال رؤية شمولية أن ينفخ في المجتمع التعاليم الدينية والمذهبية في أشكال ومضامين مختلفة، لا أن يجدها في زمان ومكان وشكل خاص.

١٥٨

التأريخ والخصائص الإسلامية  
رؤية مجلدة

السنة الثانية، العدد الأول، شتاء و ربيع ١٤٤٣هـ/٢٠٢١م

#### ٥. الاعتدال والشمولية في المظاهر الاجتماعية للمذهب

يعدّ التواشج والتأثير والتأثر بين عناصر التاريخ والكلام والاجتماعيات والأدبيات والخلقيات والمشاعر والشرعيات من الموجبات الحتمية للتجلي العيني للمعتقدات الدينية في مختلف الميادين الاجتماعية. من هنا، فإنّ مجانبة الاعتدال والوقوع في

مستنقع الإفراط والتفريط بالنسبة لأيّ من العناصر آنفة الذكر سيؤدّي إلى تعطيل المناسبات الاجتماعية، وفي نهاية المطاف ستتعرّض الحياة الحضارية وتتحرف، وتسود في مثل هذه الظروف بعض المعارف والمناسبات الدينية والمذهبية على البعض الآخر إن عن قصد تلبيةً لمصالح مرحلية، أو عن جهل وعلى أساس تعيّنات قاهرة، فيمهد ذلك للعزوف عن بعض ميادين المعارف الدينية. وستكون هذه السيادة والغلبة في جانب منها متأثرة بالعوامل الاجتماعية وفي الجانب الآخر مؤثرة على الحياة الاجتماعية. أي، إنّها تشكّل اختياراً واعياً أو متغافلاً من قبل جيل أو شريحة في المجتمع لكنّها عملياً ستخلق هوية خاصة للأجيال والشرائح الأخرى. ذلك أنّ هذه الغلبة الصورية والطارئة سرعان ما ستتحول بمرور الزمن إلى تقليد وحياة اجتماعية متواصلة، ولن يطول بها الزمان حتى تصبح من العناصر الثقافية والحضارية للمجتمع. وقد يكون في الرجوع إلى الحالة الأولى والأصلية إجراء هدام وبدعي. ويبدو أنّ الشيخ المفيد إلى جانب الشعائر والمناسبات العبادية أو العزائية قام بإضاءة ووصف أحكام الشعائر ومناسبات الفرح والسرور والثواب المترتب عليها، على الرغم من أنّ الأئمة عليهم السلام كانوا السباقين إلى ذلك بأسلوب دقيق وذكي: «وَالَّذِينَ يَفْرَحُونَ لِفَرَحِنَا وَيَحْزَنُونَ لِحَزْنِنَا وَيَخَافُونَ نَحْوَفَنَا وَيَأْمَنُونَ إِذَا أَمِنَّا» (القمي، ١٤١٧هـ، ص ١٠١). لقد اهتم الشيخ المفيد بتصوير حياة السرور والفرح للشيعة بالاستناد إلى الحوادث التاريخية لأهل البيت عليهم السلام عبر ثلاث صور:

الصورة الأولى؛ الولادات: التذكير بأيام ولادات المعصومين عليهم السلام من بين الأمثلة البارزة على هذه الصورة. ويبدو أنّه لم يكن يغفل عن البيئة الاجتماعية التي عاش فيها والإمامين عليهم السلام المدفونين في ضواحي بغداد (الكاظمية).

الصورة الثانية؛ الأيام الخاصة بإعلان فضائل المعصومين: التعبير عن مظاهر الفرح والسرور في أيام خاصة للتذكير بفضائل أهل البيت عليهم السلام هي من المسارّ التي ما فتأ الشيخ المفيد يؤكّد على إحيائها في الحياة الاجتماعية للشيعة. على سبيل

المثال، ليلة الهجرة النبوية الشريفة ومييت الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في فراش النبي الأكرم عليه السلام بشجاعة وصلابة ليدفع عنه عليه السلام مؤامرات الحاقدين ودسائسهم، وللتمويه عليهم بشأن ساعة خروج النبي الأكرم عليه السلام من مكة المكرمة. وبطبيعة الحال، فإنّ لهذه الحادثة مزية خاصة نظراً لأهميتها التاريخية وذكر تفاصيلها في القرآن الكريم.

الصورة الثالثة؛ أيام هزيمة الضالّين المضلّين واندحارهم: لم يكتف الشيخ المفيد باستعراض مناسبات المواليد وتعظيم فضائل الأولياء، بل ذكر أيضاً حوادث وتواريخ هزائم أعداء الدين والضالّين وضرورة استذكارها وتعظيمها. من الأمثلة على اهتمامه بهذا النوع من الاحتفال بهزائم أعداء الدين، تواريخ القصاص من مجرمي واقعة عاشوراء وكلّ المتسبّبين بهذه الفاجعة.

#### ٦. التدبير والتصحيح: ثنائية الشعار والشعور

إنّ انعكاسات الحوادث التاريخية المهمة، لا سيّما تلك المبنية على المعتقدات المعرفية، في مختلف ميادين الحياة الاجتماعية سوف تتيح نقل المعارف الدينية من مجال الذهن إلى عالم الواقع العملي. ونظراً إلى ظلامات أهل البيت عليهم السلام وهجرانهم فإنّ جزءاً من تلك الحوادث والقضايا يتضمّن ذكر المصائب والمقاتل. ويمكن أن نعرّث عليها في مناسبات الوفيات والشهادات وأيام الأحران التي يزخر بها تاريخ أهل البيت عليهم السلام. من هنا، يوصي الشيخ المفيد في كتابه المؤمنين بالتعبير عن مظاهر الحزن والغمّ في المناسبات الحزينة من قبيل ذكرى استشهاد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام (المفيد، ١٤١٤هـ، ص ٢٦) والإمام الحسين بن علي عليهما السلام، وتجسيد هذا الحزن والعزاء في السلوك اليومي للمؤمن من أكل وشرب ويقول: «وفي اليوم العاشر منه مقتل سيدنا أبي عبد الله الحسين عليه السلام ... و جاءت الرواية عن الصادقين عليهم السلام باجتنا الملاذ وإقامة سنن المصائب والإسك عن الطعام و الشراب إلى أن تزول الشمس و التغذي بعد ذلك بما يتغذى به أصحاب أهل

المصائب كالألبان و ما أشبهها دون المذ من الطعام و الشراب» (المفيد، ١٤١٤هـ، ص ٤٤). ويصف إقامة مجالس التعزية في هذه الأيام أنّها مواساة لآل محمد ﷺ، مثلاً، في ذكرى استشهاد الإمام موسى بن جعفر الكاظم ﷺ يقول: «يومٌ يتجدّد فيه أحران آل محمد ﷺ» (المفيد، ١٤١٤هـ، ص ٦٠).

ولعلّ آفة مجالس التعزية هي الإفراط والغلو في التعبير عن الحزن وغلبة الهيجان على التعقل، حيث يصف القرآن الكريم مخاطب المعارف والقصص بأولي الألباب والعقول (البقرة، ٢٦٩؛ آل عمران، ٧؛ الرعد، ١٩؛ إبراهيم، ٥٢) لا يكتفي الشيخ المفيد في وصيته لمجالس العزاء والأحزان بالبكاء واللهف، بل يطالب المؤمنين بالإضافة إلى إبداء الحزن واللهف أن يطبقوا مجموعة من الآداب والشعائر أو حتى العبادات، وأخيراً أن يسعوا إلى جانب التبري الظاهري النظري أن يتبرأوا عملياً من الظالمين وينأوا بأنفسهم عنهم.

الشاهد الآخر على عقيدة الشيخ المفيد هذه ما جاء في الوصايا من ضرورة تزامن التولي والتبري وإبراز البراهين مع التعبير عن المشاعر الجياشة. وهذه الأمور كلّها نجدّها في مواضع مختلفة من كتاب الشيخ مسارّ الشيعة، على سبيل المثال، يقول في ذكرى استشهاد الإمام أمير المؤمنين ﷺ: «وفيها ضربَ مولانا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ﷺ الضربة التي قضى فيها نحبهُ ﷺ و فيها غسل كالذي ذكرناه من الأغسال و يصلي فيها من الألف ركعة مائة ركعة على التمام و يستحب فيها كثرة الاستغفار و الصلاة على نبي الله محمد بن عبد الله ﷺ و الابتال إلى الله تعالى في تجديد العذاب على ظالمهم من سائر الأنام و الإثكار من اللعنة على قاتل أمير المؤمنين ﷺ» (المفيد، ١٤١٤هـ، ص ٢٦).

## ٧. التأكيد على التكليف وتجنّب الظواهرية

إنّ التأكيد على المظاهر والجوانب الطقوسية البحتة، واقتران المسارّ والأحزان بالجيشان والغليان الروحي يؤدّي إلى اصطبغ التعاليم الدينية في الحياة

الاجتماعية في حالات عديدة بصيغة الإفراط والتفريط والطقوسية الخشبية. وهي عملية غالباً ما تغلب فيها الأشكال والأدوات على المفاهيم والمضامين والأهداف، وفي خضمّ هذه التجليات والمظاهر لا ينصرف الذهن عن الهدف الأصلي فحسب، وإنما يلجأ في بعض الأحيان إلى الكتمان أو التصدي للأهداف الأصلية التي نشأت من أجلها. عدم الاحتفاظ بالمفاهيم والتمسك بالقشور والظواهر فقط سيؤدّي لأن تكون المناسبات الدينية بيئة خصبة للاعبين أو الأعيب سمسرة السياسة. ولعلّ هذا هو السبب الذي دفع الشيخ المفيد إلى التأكيد على الأبعاد المعنوية والمعرفية والعبادية لمناسبات مواليد الأئمة عليهم السلام فضلاً عن عيدي الفطر والأضحى اللذين يتقومان بالأسس الفقهية. حيث يذكر في ذكرى ولادة الإمام صاحب الزمان عليه السلام: «وفي ليلة النصف منه سنة أربع وخمسين ومائتين من الهجرة كان مولد سيدنا صاحب الزمان صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين. ويستحبّ في هذه الليلة الغسل وإحيائها بالصلاة والدعاء» (المفيد، ١٤١٤هـ، ص ٦٠). وغالباً ما يصف الشيخ المفيد العاملين الذين يحيون هذه المناسبات بـ«أهل الإيمان» (المفيد، ١٤١٤هـ، صص ٤٠ و ٥١) و«أهل الإسلام» (المفيد، ١٤١٤هـ، ص ٣٨) ليخرج من هذه الدائرة جميع الأفراد والسلوكيات والشعائر المنحرفة عن معايير الإيمان.

وفي معرض شرحه لمعظم المناسبات التي استعرضها يسطر الشيخ المفيد قائمة بالينبغيات واللاينبغيات الملزمة والإرشادية لتلايركز المؤمنون على الجوانب الاحتفالية والأبعاد الطقوسية فقط ويغفلون عن التكاليف التي هي بنحو ما تشكّل ممارسة على المواطنة والحياة الحضارية. على سبيل المثال، على الرغم من أنّ سلاطين آل بويه في عصره كانوا يواظبون على إقامة مراسم العزاء في شهر محرم، واستمرّ هذا الحرص والمواظبة، في الغالب، عند الحكام الشيعة حتى يومنا، إلا أنّ الشيخ المفيد يستهلّ روزنامته الشيعة بشهر رمضان المبارك الذي تغلب فيه التكاليف والقواعد على الشعائر والمراسم. فبعد أن يبيّن فضائل الشهر الفضيل



وبركاته يستعرض أحكامه وتكاليفه التي هي في معظمها نوافل، ويقول: «فأول ليلة منه (يجب فيها النية) للصيام ويستحب استقبالها بالغسل عند غروب الشمس والتطهر لها من الأذناس، وفي أولها دعاء الاستهلال عند رؤية الهلال وفيها الابتداء بصلاة النوافل ليالي شهر رمضان وهي ألف ركعة من أول الشهر إلى آخره بترتيب معروف في الأصول عن الصادقين عليهم السلام ويستحب فيها الابتداء بقراءة جزء من القرآن، يتلى من بعده إلى آخره ثلاث مرات على التكرار» (المفيد، ١٤١٤هـ، ص ٢١).

#### ٨. الاهتمام بالمفاخر الإسلامية العابرة للفرق والأديان

على الرغم من أن إحياء المناسبات وتكريم المفاخر المذهبية يساهم في تعزيز الهوية المذهبية الشيعية إلا أنه يمكن بصورة ضمنية أن يؤدي إلى تظهير الغيرية المذهبية والاجتماعية. في هذه الأثناء، فإن رسم ملامح الهوية والحياة الحضارية للمجتمعات في ذيل المفاهيم والعناصر الوفاقية المشتركة سوف يساعد على ترميم الأضرار آنفة الذكر. في كتابه لا يخفي الشيخ المفيد هدفه وهو تظهير الهوية والحياة الاجتماعية والحضارية للشيعية، ولكن في نفس الوقت لم يغفل التحديات المطروحة للتو. فإلى جانب تبينه الآداب والطقوس الخاصة بالشيعية لم يأل جهداً في تكريم الشخصيات والمفاخر الإسلامية التي تحظى بالإجماع، حيث يقول بمناسبة إحياء ذكرى استشهاد حمزة بن عبد المطلب عليه السلام: «وفيها استشهد أسد الله وأسد رسول الله وسيد شهداء وقته وزمانه عم رسول الله صلى الله عليه وآله حمزة بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف رضي الله عنه وأرضاه. وهو يوم يحتنب فيه المؤمنون كثيراً من الملاذ لمصاب رسول الله ص بعمه وأصحابه المخلصين وما لحقه من الأذى والألم بفعل المشركين» (المفيد، ١٤١٤هـ، ص ٣٤). فالتأكيد على دور حمزة ومكانته في المحافظة على الدعوة النبوية وعلى ذكر ألقابه «أسد الله» و«سيد الشهداء» كلها شواهد ما نقول. كما يذكر في مناسبات شهر رمضان ذكرى

وفاة عائشة إحدى زوجات رسول الله ﷺ (المفيد، ١٤١٤هـ، ص ٢٣)، طبعاً حتى في المناسبات التي تحمل خصوصية شيعية يحاول أن يركّز على أهميتها الإسلامية أو على الأحاديث النبوية كمصادر معتبرة وموثوقة عند جميع المذاهب الإسلامية. على سبيل المثال، يقول في ذكرى ولادة الإمام صاحب الزمان عليه السلام: «شهر شعبان هو شهر [شريف عظيم البركات] و صيامه سنة من سنن النبي ﷺ. وفي ليلة النصف منه سنة أربع وخمسين ومائتين من الهجرة كان مولد سيدنا صاحب الزمان صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين» (المفيد، ١٤١٤هـ، ص ٦١). ولعلّه بالالتكاء إلى هذه الرؤية يصف حوادث صدر الإسلام مثل معركة بدر بأنها من المناسبات المهمة والسارة لجميع المسلمين: «وفي يوم السابع عشر منه -رمضان- كانت الوقعة بالمشركين ببدر ونزول الملائكة بالنصر من الله تعالى لنبيه عليه السلام ... وهو يوم عيد وسرور لأهل الإسلام» (المفيد، ١٤١٤هـ، ص ٢٥) أو في ذكرى فتح مكة يقول: «وفي العشرين منه (رمضان) سنة ثمان من الهجرة كان فتح مكة وهو يوم عيد لأهل الإسلام ومسرة بنصر الله تعالى نبيه عليه السلام وإنجازه له ما وعده» (المفيد، ١٤١٤هـ، ص ٢٦). طبعاً قد يرى البعض في هذا الموقف للشيخ المفيد أمانة على الفكر الاعتدالي لعلماء الشيعة في ذلك العصر.

بالإضافة إلى الملاحظة المذكورة، كان يركّز على وجوه اشتراك الأديان الإبراهيمية والعلاقات المتعلقة بها، بحيث يمكن أن يؤسس للحياة الحضارية المنشودة في المجتمعات التي تتميز بتعدد طوائفها الدينية والمذهبية، حيث يقول، على سبيل المثال، في روزنامته في اليوم السادس من شهر رمضان: «وفي السادس منه (أنزل الله التوراة على موسى بن عمران عليه السلام)» (المفيد، ١٤١٤هـ، ص ٢٢) أو في اليوم الثاني عشر من الشهر: «وفي اليوم الثاني عشر (نزل الإنجيل على عيسى بن مريم عليه السلام)» (المفيد، ١٤١٤هـ، ص ٢٣)، أو في اليوم الحادي والعشرين من رمضان: «وفي ليلة إحدى وعشرين منه كان الإسراء برسول الله ﷺ وفيها رفع الله عيسى

بن مريم عليها السلام)، وفيها قبض موسى بن عمران عليه السلام وفي مثلها قبض وصيه يوشع بن نون عليه السلام (المفيد، ١٤١٤هـ، ص ٢٦).

٩. زيارة المشاهد المشرفة لأهل البيت عليهم السلام بمثابة عامل انسجام للطوائف والنحل الشيعية زيارة المشاهد ومرآة أئمة الشيعة عليهم السلام تعمل على تظهير الهوية الجمعية والأساسية للمجتمعات الشيعية في البيئات الحياتية الاجتماعية المختلفة، كما يمكن لاجتماع الشيعة في البقاع المعترية والمشاركة، شرط أن يكون بإشراف علماء الدين، أن يهتئ أجواء التعاطي والحوار البناء والتعاون السياسي والثقافي والاجتماعي، وبالتالي تنظيم منشور الحياة الحضارية. يحاول الشيخ المفيد في ثنايا شرحه للمناسبات والطقوس المختلفة التذكير بزيارة المشاهد ومرآة الأئمة عليهم السلام. فمثلاً يوصي في ذكرى ولادة الإمام الثاني عشر للشيعة بزيارة الإمام الحسين عليه السلام: «وفي ليلة النصف منه سنة أربع وخمسين ومائتين من الهجرة كان مولد سيدنا صاحب الزمان عليه السلام. ويستحب في هذه الليلة الغسل وإحيائها بالصلاة والدعاء. وفي هذه الليلة تكون زيارة سيدنا أبي عبد الله الحسين بن علي عليه السلام» (المفيد، ١٤١٤هـ، ص ٦١). ويقول في أعمال يوم عاشوراء: «ويستحب فيه زيارة المشاهد والإثارة فيها من الصلاة على محمد وآله» (المفيد، ١٤١٤هـ، ص ٤٤). علاوة على الأجر والثواب الذي تنطوي عليه هذه الاجتماعات، فهي تحظى بالبركات الاجتماعية الوفيرة، والتي من أهمها التوافق الثقافي والاجتماعي، وتقدم صورة للحياة الحضارية الإسلامية الشيعية.

ولإضفاء الوفاق والانسجام على أفراد المجتمع الشيعي، بمن فيهم المحرومين من المكنة المالية والجسمية للزيارة يوصي بزيارة مشاهد الأولياء والسادة فيقول: «ومن لم يتمكن من زيارة أبي عبد الله عليه السلام في هذا اليوم فليزر بعض مشاهد السادة عليهم السلام فإن لم يتمكن من ذلك فليؤم إليهم بالسلام و يجتهد في أعمال البر والخيرات» (المفيد، ١٤١٤هـ، ص ٥٨).

## ١٠. الحض على اللحمة الاجتماعية وتجنب الانفكاك الاجتماعي

قوام الحياة الاجتماعية للأمم وتماسكها رهن بصلافة هويتها الجمعية واللحمة الاجتماعية بين أفرادها. يحض الله تعالى في بعض آيات القرآن الكريم المسلمين على الاجتماع والتعاقد، كما في هذه الآية: (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاِكِعِينَ) (البقرة، ٤٣)؛ وعلى احترام عقائد الآخرين ومقدساتهم (الأنعام، ١٠٨)؛ وعلى لين القول وخفض الصوت في المعاشرة والكلام (لقمان، ١٩؛ الحجرات، ٢ و ٣)؛ وقبول دعوة الآخرين (الأحزاب، ٥٣)؛ والتواضع وتجنب الغرور والتكبر (المائدة، ٥٤؛ الإسراء، ٣٧؛ لقمان، ١٨ و ١٩)؛ وعلى حسن الخلق والبشاشة (آل عمران، ١٥٩)؛ وعلى الصبر والجلد في مقابل أقوال المخالفين (الزمل، ١٠؛ البلد، ١٧)؛ والرافة والمحبة في القول والفعل (آل عمران، ١٥٩؛ الفتح، ٢٩؛ الحديد، ٢٧) والوفاء بالعهود (البقرة، ١٠٠ و ١٢٧؛ الإسراء، ٣٢). يمكن لتنظيم السلوك الاجتماعي أن يرشدنا إلى الطريق المستقيم الذي يضمن سلامة الفرد ومجتمعه، وأن يجعل المجتمع الإيماني أكثر وفاقاً وصلافة. ولذلك نجد الشيخ المفيد قد خصص جزءاً من اهتماماته في هذا الكتاب ليقول لنا أن الحياة الاجتماعية السعيدة المنشودة للشيعنة غير ممكنة بدون الالتزام بأصول التعايش والمعاشرة والتعاقد والتلاحم. ناهيك عن أن حسن المعاملة الأخلاقية والاجتماعية للشيعنة يمكن أن تساعد على جذب اهتمام الآخرين بمعارف أهل البيت عليهم السلام وتعاليمهم السامية. من بين أهم المحددات التي أكد عليها الشيخ في روزنامته الشيعية:

## ١٠-١. البذل

في معرض تعظيمه لبعض المناسبات الدينية يؤكد الشيخ المفيد في الوقت نفسه على الإنفاق ومدد يد العون للمحرومين والمساكين. والملفت أنه يوصي بالبذل والإنفاق بشكل خاص في المناسبات المغمورة والأقل شهرة أكثر من سائر المناسبات الأخرى، وكأنه يريد القول بأن البذل والعطاء في هذه الأيام مدعاة

لترسيخ ذكرى أهل البيت عليهم السلام. فمثلاً عندما يتحدّث عن مناسبة ذكرى مبايعة الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام لولاية العهد يقول: «وفيه من سنة إحدى ومائتين للهجرة كانت البيعة لسيدنا أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام وهو يوم شريف يتجدّد فيه سرور المؤمنين ويستحبّ فيه الصدقة والمبرة للمساكين والإيثار لشكر الله عزّ اسمه على ما أظهر فيه من حق آل محمد عليهم السلام وإرغام المنافقين. ويستحبّ فيه الصدقة والتطوع بالخيرات والإيثار من شكر الله تعالى على ظهور حجته و إقامة دينه بخليفته في العالمين وابن نبيه سيد المرسلين صلى الله عليه وآله. ويكرّر الشيخ وصيته هذه في مناسبات ولادات سائر أئمة الشيعة عليهم السلام مثل ولادة الإمام زين العابدين عليه السلام (المفيد، ١٤١٤هـ، ص ٥٤).

طبعاً هو يوصي بالإنفاق في المناسبات التي لا تختصّ بالشيعة أيضاً. حيث يقول في أعمال شهر رجب: «فليؤمّ إليهم بالسلام و يجتهد في أعمال البرّ والخيرات» (المفيد، ١٤١٤هـ، ص ٥٨). وكذلك بمناسبة الاحتفال بعيد الأضحى المبارك: «وفي اليوم العاشر منه عيد الأضحى والنحر بعد صلاة العيد سنة لمن أمكنه أو الذبح و الصدقة باللحوم على الفقراء والمتجمّلين من أهل الإسلام والأضحية فيه لأهل منى وفي ثلاث أيام بعده وهي أيام التشريق» (المفيد، ١٤١٤هـ، ص ٣٨).

## ١٠-٢. إدخال الفرحة والسرور على المؤمنين

بالإضافة إلى أداء الحقوق المالية أو الإنفاق المستحبّ الذي يعمل على فكّ عقد المستحقين ورفع شدائدهم ويدخل السرور عليهم، نجد الشيخ المفيد يؤكّد على موضوع آخر وهو إدخال السرور على قلوب المؤمنين حتى من غير المستحقين أو المعوزين. فمثلاً تحت عنوان «إدخال السرور» أو «إدخال المسرّة» يوصي الشيخ المفيد الشيعة في مواضع عديدة بإدخال السرور على قلوب الآخرين وهو من الأعمال التي تخفّف أعباء الذنوب. من هذه الأعمال تعظيم ذكرى عيد الغدير

الأغر: «وإدخال السرور فيه على أهل الإيمان يحطّ الأوزار» (المفيد، ١٤١٤هـ، ص ٤٠). وبمناسبة ذكرى البعثة النبوية الشريفة (المفيد، ١٤١٤هـ، ص ٦١) و ١٧ ربيع الأول عيد ولادة نحر الكائنات النبي المصطفى ﷺ يقول: «ويستحبّ فيه الصدقة [والإمام بزيارة المشاهد] والتطوّع بالخيرات وإدخال [المسرّة على أهل الإيمان]» (المفيد، ١٤١٤هـ، ص ٥١).

### ١٠-٣. أناة المظهر

ورد في الحديث النبوي الشريف أنّ النظافة من الإيمان (المجلسي، ١٤٠٣هـ، ج ٥٩، ص ٢٩١) والشيخ المفيد يعتقد أنّ التطيّب بأطيب العطور ولبس أنفّر الثياب من آداب الأعياد وأيام الأفراح والمسرات. واستناداً إلى سيرة المعصومين عليهم السلام في بعض الأيام المباركة مثل عيد الفطر يؤكّد على أنّ: «ومن السنّة فيه الطيب، ولبس أجمل الثياب» (المفيد، ١٤١٤هـ، ص ٣١). فهذه التوصية بالإضافة إلى أنّها مجلبة للثقة بالنفس والسرور الفردي، توجب النشاط الاجتماعي أيضاً. ذلك أنّ آحاد الأمة وحتى الذين لم يكونوا يعيرون أهمية لهذه الأيام، سوف ينعمون لا إرادياً ببركات هذه المناسبة ويسعدون بنشاط هذه الأيام ومسراتها.

### نتيجة البحث

لقد أراد الشيخ المفيد بتدوينه كتاب مسار الشيعة رسم ملامح هوية و حياة حضارية للمجتمعات الشيعية تؤهلهم لتبوء مركز الريادة في الثقافة والحضارة الإسلامية، ليصبحوا قدوة عملية للآخرين. لقد سعى الشيخ المفيد أن يقوّل الهوية العقديّة والتاريخية والفكرية للشيعة في منشور يطبّقه في ميدان الحياة الاجتماعية والحضارية، لتجسيد معارف أهل البيت عليهم السلام في الحياة الحضارية الشيعية وفي نفس الوقت المحافظة على المعارف الإسلامية والشيعية، والإشراف على انعكاس هذه المعارف في الحياة الحضارية، وبالنتيجة تكون المناسبات

والأيام التاريخية الشيعية بمثابة حاضنة للمحافظة على التعاليم وتقيحها وإعادة تقديمها في أشكال ومفاهيم وأساليب ومناسبات اجتماعية وحضارية. فهذه المناسبات والشعائر والطقوس تتأثر بمسيرة التقلبات الفكرية والاجتماعية والثقافية للأجيال الراهنة وتتوثر في بلورة الهوية الاجتماعية للأجيال القادمة. في كتابه مسار الشيعة بالإضافة إلى تقديم أشكال معتبرة ومنضبطة للمسار والأحزان والزيارات، يحاول الشيخ المفيد لفت الانتباه إلى الثغرات والتحديات القائمة أو المحتملة مثل الإفراط في ممارسة الجوانب الطقوسية، وتفرغ الطقوس من مضامينها وتعاليمها الدينية، والابتداع في المراتب المعرفية، وإثارة النزاعات المذهبية، وتفعيل الانفكاقات الاجتماعية بذريعة المظاهر المذهبية، وتدوين منشور جامع وفاعل للحياة الحضارية للشيعة الإمامية.

١٦٩

التاريخ والحضارة الإسلامية  
مؤلف: محمد بن عبد الله

## المصادر

### \* القرآن الكريم

١. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي. (١٤٠٦هـ). لسان الميزان (ج ٥). بيروت: مؤسسة الأعلي للمطبوعات.
٢. ابن عماد الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد. (١٤٠٦هـ). شذرات الذهب في أخبار من ذهب (ج ٣). بيروت: دار ابن كثير.
٣. ابن كثير الدمشقي، أبو الفداء الحافظ. (١٤٠٥هـ / ١٩٨٩م). البداية و النهاية (ج ١١). بيروت: دار الكتب العلمية.
٤. پهلوان، چنگيز. (١٣٨٨ش). فرهنگ و تمدن. طهران: ني.
٥. جعفریان، رسول. (١٣٧٥ش). تاريخ تشيع در ايران از آغاز تا قرن دهم هجري (ج ١، ط. الأولى). قم: انصاريان.
٦. جلالی، حسين. (ربيع وصيف ١٣٨٦ش). «السيد محمد رضا وجويا جهانبخش، "سیری در مسأّر الشيعة"»، مجلة آينه ميراث، (٣٦ و ٣٧)، صص ٢٩٣-٣١٥.
٧. الخطيب البغدادي، أحمد بن علي. (١٤١٧هـ). تاريخ بغداد (ج ٣، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا). بيروت: دار الكتب العلمية.
٨. خواندمير، غياث الدين. (١٣٨٠ش). تاريخ حبيب السير في أخبار أفراد البشر، طهران: خيام.
٩. دهخدا، علي أكبر. (١٣٦٥ش). لغت نامه دهخدا. طهران: جامعة طهران.
١٠. ديورانت، ويل. (١٣٧٢ش). تاريخ تمدن (ج ١، المترجم: أحمد آرام، ط. الرابعة). انقلاب اسلامي.
١١. روح الأميني، محمود. (١٣٧٩ش). زمينه فرهنگ شناسي (ج ٥). طهران: عطار.



۱۲. شبیری، السید محمدجواد. (۱۳۷۲ش). گذری بر حیات شیخ مفید. المقالات الفارسیة للمؤتمر العالمی لألفية الشيخ المفید.
۱۳. صدر حاجی سید جواد، أحمد. (۱۳۶۶ش). دائرة المعارف تشیع. طهران: مؤسسة طاهر الإسلامية.
۱۴. طهرانی، آغا بزرگ. (بلا تاریخ). الذریعة إلى تصانیف الشيعة (ج ۲۰). بیروت: دار الأضواء.
۱۵. عسکری خانقاه، أصغر؛ کالی، محمد شریف. (۱۳۷۸ش). انسان شناسی عمومی. طهران: سمت.
۱۶. فقیهی، علی أصغر. (۱۳۶۵ش). آل بویه نخستین سلسله قدرتمند شیعه با نموداری از زندگی مردم آن عصر (ط. الثانية). طهران: صبا.
۱۷. کرمل، جویرل. (۱۳۷۵ش). احیای فرهنگی در عهد آل بویه (انسان گرایی در عصر رنسانس اسلامی) (المترجم: محمد سعید حنایی کاشانی، ط. الأولى). طهران: مرکز النشر الجامعی.
۱۸. کریمیان، محمود. (خریف وشتاء ۱۳۹۳ش). واکاوی فتوای منسوب به شیخ مفید. مجلة حدیث حوزه، (۹)، صص ۳۰-۴۲.
۱۹. کولب، گولد. (۱۳۸۴ش). فرهنگ علوم اجتماعی (المترجم: محمد جواد زاهدی، ط. الثانية). طهران: مازیار.
۲۰. گرجی، أبو القاسم. (۱۳۸۵ش). تاریخ فقه و فقها. طهران: سمت.
۲۱. المجلسی، محمد باقر. (۱۴۰۳هـ). بحار الأنوار. بیروت: مؤسسة الوفاء.
۲۲. مدرس تبریزی، محمد علی. (بلا تاریخ). ریحانة الأدب (ط. الثالثة). طهران: خیام.
۲۳. مدنی بچستانی، السید محمود. (۱۳۸۵ش). فرهنگ کتب حدیثی شیعه (ج ۱، ط. الأولى). طهران: امیر کبیر.

٢٤. معين، محمد. (١٣٧٥ش). فرهنگ فارسی (معروف به فرهنگ معین). طهران: أمير كبير.
٢٥. المفيد، محمد بن النعمان. (١٤١٤هـ). مسأّر الشيعة. بيروت: دار المفيد.
٢٦. نحوي، سيد سيف الله. (خريف ١٣٨١ش). آل بويه حاميان فرهنگ تشيع (ط. الأولى). قم: مكتب الإعلام الإسلامي.
٢٧. هنتينغتون، صامويل. (١٣٨٢ش). نظريه برخورد تمدنها (المترجم: مجتبي اميري، ط. الرابعة). طهران: وزارة الخارجية.
٢٨. ولايتي، علي أكبر. (١٣٨٢ش). پويای فرهنگ و تمدن اسلام و ايران (ج ١). طهران: مركز وثائق وخدمات البحث.